

أثر ظاهرة الحذف البلاغي في اختلاف الترجمات القرآنية

أحمد اميدعلي^١، أصغر شهبازي^٢

١. أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة أراك

٢. دكتوراه في اللغة العربية وآدابها من جامعة أصفهان

(تاريخ الاستلام: ٢٧/٩/٢٠١٧؛ تاريخ القبول: ٥/٨/٢٠١٨)

الملخص

إنّ المتأمل في الترجمات القرآنية قد يلاحظ فروقاً عديدة واختلافات شتّى بين أصحاب الترجمة وتظهر أمامه بعض المعاني متعددة عن بعضها تمام البعد حتى يثير ارتباكاً ودهشة. تعتبر ظاهرة «الحذف» إلى جانب بعض الظواهر القرآنية كالتعابير الأدبية المجازية، وتعددية القراءات، والوجوه الإعرابية المتعددة، من الأسباب الرئيسية التي تتمخض عنها اختلافات في النقل والتباين في الفحوى. فهناك آيات كثيرة كان الاختلاف فيها يرجع إلى التقديرات المتعددة بينما لا يتوافر هذا التباين للآيات ذات التراكيب اللغوية التامة؛ لأنّ حدود المعنى فيها محدودة وذلك لتقيدها بالألفاظ الدالة عليها. إن الحذف البلاغي بأنماطه المختلفة يفتح الباب واسعاً أمام قراءات متعددة ويؤدي إلى اتساع مجالات المعنى القرآني. من هذا المنطلق تحاول هذه الدراسة المتواضعة أن تلقي الضوء على الفجوات الناتجة عن «الحذف» وكيفية تعامل المترجمين معها لنقل المقاصد القرآنية. ومما توصلت إليه دراستنا المتواضعة التي انتهجت المنهج الوصفي التحليلي أن اختلاف المترجمين في نقل العناصر المغيبة في الآيات تتجذّر في مواطن المحذوف ودقائقه الدلالية، وكيفية ذكر المقدّر والرؤى التفسيرية المختلفة والوجوه الإعرابية المتعددة.

الكلمات الرئيسية

اختلاف الترجمة، بلاغة الحذف، تعددية المعنى، القرآن الكريم.

مقدمة

تعدّ حركة نقل معاني القرآن الكريم بالفارسية خطوة عظيمة ومباركة في اللغة الفارسية. فإنّها إضافة إلى قيمتها التاريخية، لها أهمية فائقة من الجهة اللغوية والأدبية. ولعلّ اللغة الفارسية أولى لغة في العالم ترجم إليها الوحي السماوي (خرمشاهي، ١٤١٣: ٣؛ رضايي إصفهاني، ١٣٨٦: ٣٦)، وذلك لأسباب متعددة. استمرّ هذا العمل الجليل الذي تعود بدايته إلى القرن الرابع الهجري طيلة القرون وتحوّل إلى نهضة أدبية قيمة بلغت ذروتها في عصرنا الحاضر، فنلاحظ ظهور ما يناهز ألف ترجمة قرآنية على مدى ألف عام (خرمشاهي ١٣٨٧: ١٠٢)، ولكن رغم هذه العناية الكبيرة لم يبلغ الأمر غايته ومنتهاه بعد؛

گمان مبر که به پایان رسید کار مغان هزار باده ناخوردہ در رگ تانک آست

(لاهوري، ١٣٦٦: ٢٧١)

والمعنى: «لا تظننّ أنّ أمر الموابذة انتهى، فهناك ألف خمر غير مشروب في عروق

الكروم».

وأما رغم تعدّد الترجمات وتنوّعها، فدراسة ترجمة الآيات ونقدها لا تزال في خطواتها الأولى. يرى بعض الباحثين أن مردّد ذلك يعود إلى هذه الأسباب: أ) الافتقار إلى الموقع الخاص في المحافل العلمية في باب نقد الترجمات القرآنية؛ ب) كون الترجمات القديمة حرفية، قلّما روعيت فيها الصياغات النحوية الفارسية؛ ج) حاكمية مبدأ قداسة القرآن ورفض نقد عبارات ومعاني القرآن المترجمة (حجت، ١٣٧٨: ٤٩-٥٠). أما هذه المسألة فبدأت تتغيّر في عصرنا الحاضر بسبب اهتمام بعض مؤسسات علمية خاصة بنقل الكلام الإلهي كـ «ترجمان الوحي» أو إنشاء مجلّات علمية كـ «البيّنات»، و«المشكاة»، و«أموزمه‌هاي قرآني» (التعاليم القرآنية) و«دراسات في ترجمة القرآن والحديث».

انطلاقاً من هذا المهم نتناول في دراستنا المتواضعة إحدى الإشكاليات اللغوية الهامة التي تسود ترجمة القرآن الكريم فهي موضوع «الحذف»، إذ إن النص القرآني حافل بأقسام الحذف حتى تكاد لا تخلو منها آية من أي القرآن الكريم. وهذا ما جعل صاحب الكشّاف أن يقول: «الحذف والاختصار هما نهج التنزيل» (الزمخشري، ١٩٨٦، ج٤: ٦٥٥)، فهذا يدلّ على أنه باب واسع في الذكر الحكيم ويستدعي الالتفات إليه. ولا يخفى أن قسماً من أسباب الاختلاف بين الترجمات القرآنية يعود إلى هذه المسألة. فدواعي الحذف ومقاصده البلاغية من جهة واختلاف

اللغتين العربية والفارسية من حيث خصائصهما اللغوية والتركيبية من جهة أخرى، تفصح عن مدى أهمية هذه المسألة. فلا بد للمترجم أن ينتبه للعلاقات النصية و«أن يقوم بتحليل القواعدي والفني ليدرك مكانة الألفاظ والجمل ليدرك معانيها» (محمدرضائي، ١٤٣١: ١٤٠). فبناءً على ذلك، ركزنا في بحثنا المتواضع على مواقف الحذف في الآيات القرآنية للكشف عن أسباب التباين لدى المترجمين ونحاول الوصول إلى إجابات مناسبة عن السؤالين التاليين:

- ما هو أهم الإشكالات الترجمية في نقل العناصر المحذوفة لدى المترجمين؟
- ما هو أثر الحذف القرآني في النقل؟

نظراً إلى الأسئلة المطروحة، يركز البحث على المفروضات التالية:

- إن اختلاف المترجمين في نقل العناصر المغيبة في الآيات يتجذر في الرؤى التفسيرية المختلفة والوجوه الإعرابية المتعددة.

- تعتبر تعددية الإعراب واللطائف الدلالية من أهم آثار الحذف القرآني وبالتالي عدم اهتمام المترجمين بهما من أبرز مواطن الضعف في النقل.

والجدير بالقول أننا لم نرد في المقال التركيز على اختيار ترجمة خاصة لتحديد البحث، بل حاولنا الوصول إلى استراتيجية المترجمين في نقل الحذوف القرآنية وكيفية تعاملهم مع ظاهرة الحذف وذلك من خلال دراسة أمثلة مختارة من الترجمات المختلفة التي انتهجت مناهج متنوعة، فلذلك استشهدنا في بعض المواقف إلى المترجمين القدامى كما استفدنا من الترجمات المعاصرة.

أما بالنسبة إلى خلفية البحث فلا بد أن نقول إن من أبرز البحوث التي قامت بالتنقيب عن أسباب اختلاف الترجمات بشكل عام، دراسة معنونة بـ «اختلاف ترجمههاي قرآن كريم» (علل وعوامل) (عظيم پور، ١٣٨٠ش)، هذا البحث من أقرب البحوث تعلقاً بموضوع الدراسة حيث تعرّض الباحث بإزاحة الستار عما ينتهي إلى التباين في الترجمات في أربعة فصول، وصرّح في المقدمة أن بعض هذه العلل طبيعية تؤدي إلى تطور علم الترجمة (عظيم پور، ١٣٨٠ش: ٢٢-٢٥)، اختصّ الكاتب الفصل الثاني من كتابه بموضوع الحذف، مبيناً أثره البارز في الترجمات الفارسية. كذلك في كتاب بعنوان «تفاوت ترجمههاي قرآن از منظر ايدئولوژيك» (نژاد حقيقي، ١٣٨٨ش)، نرى أن الباحثة اهتمت بالإفصاح عن الأثر الإيدئولوجي في الترجمة وترى أن التحوّلات والتغييرات أثناء مسار الترجمة هي نتيجة للاهتمام بالبنية

التحتية والميل إلى الإيضاح والتعبير عن العناصر الكامنة المحذوفة في الآيات، لذلك أنه ليس لدينا ترجمة خالصة عن القرآن الكريم وهذا هو السبب الأساس في اختلاف الترجمات. وهناك مقال بعنوان «اختلاف ترجمه هاي قرآن بر اساس دستور زبان عربي وساخران» (آذرنوش وعظيمپور، ١٣٨٣)، حيث تناول الباحثان أهم ما يؤثر في تباين الترجمات القرآنية كعدم التطابق بين الضمير ومرجعه واختيار المعادلات اللغوية المتعددة، وعدم الانتباه إلى بنية المفردات القرآنية. ولكن على الرغم من هذا الاهتمام نحو دراسة هذا الموضوع في مثل هذه البحوث المشار إليها لا بد أن نعترف أن معظمها لم يتناول إلا جزءاً محدداً من الآيات والسور ولم يلق نظرة شاملة إلى هذه الظاهرة اللغوية وصورها، لذلك نحاول في بحثنا إضاءة زوايا هذا الجانب بالتفصيل. والجدير بالذكر أن موضوع الحذف كان موضع دراسة واهتمام لدى كثير من الباحثين، أما في مجال أثر هذه الظاهرة على اختلاف الترجمات القرآنية فلم نعثر على مقال يضيء جوانب هذه القضية بالتفصيل.

مفهوم الحذف البلاغي

إن «الحذف» مصدر للفعل المتعدّي الثلاثي «حَدَفَ - يَحْدِفُ» كـ «ضَرَبَ - يَضْرِبُ». قد استعمل للدلالة على معان متعددة ودلالات مختلفة، منها: الرمي، والقطع، والإسقاط، والرجم. جاء في الطراز للعلوي (المتوفى ٧٤٩هـ) «الحذف في أصل اللغة الرجم بالشيء، يقال حذفه بالعصا، رجمه بها» (العلوي، ١٩١٤، ج٢: ١٧٦)؛ أما معناه في اصطلاح النحاة وعلماء البلاغة «أنه إسقاط حركة أو كلمة أكثر أو أقل... وهذا المعنى أهم من معنى الصرفيين» (التهانوي، ١٩٦٣، ج٢: ٥٦-٥٧). ويعرفه «الرماني» (٣٨٦هـ) بأنه «إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام» (الرماني، ١٩٦٨: ٧٦).

ولهذه الظاهرة صور متنوعة في الآي القرآنية؛ منها: حذف الحرف، وحذف الكلمة، وحذف الجملة والجمل، ولكل منها أهداف بلاغية خاصة وتفاوت نسبة استخدامها حسب السياق القرآني تبعاً لطول النص، فنجد ارتفاع هذه النسبة في الآيات الطويلة نسبياً في حين تنخفض مع الآيات القصيرة نسبياً.

لو تأملنا فيما بينه العلماء في هذه الظاهرة نرى أن هذا الأسلوب يغربل العبارات والجمل لضغط المعنى وتأثير الكلام وذلك بوجود القرينة الدالة عليه، فهو «ليس من قبيل الإعدام البحتة بل واسطة بين الوجود والعدم، أي النطق والصمت» (ترجاني زاده، ١٣٤٠: ١٤٦).

وإن الجنوح إلى هذه التقنية في النصوص تجعلها أكثر ثراء في المعنى وتخلق «ثورة في كلماتها» (شفيعي كدكني، ١٣٨١: ٢٣). كما تتيح الحرية للفكر في الانطلاق لتركيب صور خلّابة. فمن هنا نستطيع القول أن الوظيفة الأولى التي تنهض بها ظاهرة الحذف بشكل عام كامنة في وسم النص بسمة «الانفتاح»، بحيث «يمكن أن تتعدّد الأفهام بتعدّد المتقبلين الفاهمين فتكون تلك الثغرات مصدراً من مصادر الطاقة الأدبية التي يختزنها الخطاب الإبداعي» (القلناط، ٢٠٠٨: ١٧١).

أما هذا النقصان فيُعرف من خلال القرائن السياقية التي تصاحب القول، فتساعد على فهم المقصود من الكلام، مما يجعل التركيب اللغوي موجزاً في بنائه قوياً في دلالاته. فيما يلي نلقي الضوء على أهمية القرائن للاهتمام إلى التلقي الصحيح.

القريئة وأقسامها

من أهمّ القرائن التي تعين القارئ في تعيين المحذوف ما يأتي:

(أ) الدليل الحالي: قد تكون الحالة المشاهدة دليلاً على المحذوف نحو قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا﴾ (النحل/٢٠)، أي: أنزل خيراً. فحذف من الآية الفعل الماضي لدلالة الحالة المشاهدة عليه.

(ب) الدليل الشرعي: تارة لا يمكن إدراك المحذوف بالعقل وحده وإن كان العقل يدلّ على الحذف من غير دلالة على تعيينه ويستفاد من تعيين المحذوف من دليل شرعي كما في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ﴾ (المائدة/٣) فحذف المضاف تقديره: تناولها. «أي حرم عليكم أكل الميتة والانتفاع بها» (الطبرسي، ١٣٧٢، ج: ٣: ٢٤٣).

(ج) الدليل العقلي: وتارة يدلّ العقل وحده على الحذف وعلى تعيين المحذوف، كما جاء في القرآن: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ (الفجر/٢٢) أي: أمره، فالعقل دال لاستحالة وامتناع مجيء الربّ جلّ وعلا.

(د) الدليل النحوي: وقد تكون الصناعة النحوية دالة على المحذوف، مثل قول النحاة في هذه الآية: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذَكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ (يوسف/٨٥)، والتقدير: «لا تفتأ» بدليل الصناعة النحوية أنه لو كان الجواب مثبتاً لدخلت اللام والنون.

أهمية القرائن السياقية للحذف القرآني

إنّ القرينة بأنماطها المختلفة توفّر للقارئ شروط التواصل مع النصّ وتساعد على الفهم الصحيح منه ومن هذه الزاوية تحديداً نستطيع أن ندرك كلّ هذا الإصرار عند القدامى على ضرورة وجود الدليل والسبب على المحذوف حيث أكدوا أهميتها في تعاريفهم عن ظاهرة «الحذف»؛ كما نرى هذه الأهمية في قول «ابن الأثير» (المتوفى ٦٣٧هـ) في المثل السائر: «الأصل في المحذوفات جميعها على اختلاف ضرورها أن يكون في الكلام ما يدلّ على المحذوف؛ فإن لم يكن هناك دليل على المحذوف فإنّه لغو من الحديث، لا يجوز بوجه، ولا سبب، ومن شرط المحذوف في حكم البلاغة أنّه متى أظهر صار الكلام إلى شيء غثّ لا يناسب ما كان عليه أولاً من الطلاوة والحسن» (ابن الأثير، ١٩٣٩، ج٢: ٨١)، نجد نفس هذا التأكيد عند صاحب البرهان حيث يقول: «ولا بدّ أن يكون فيما أبقي دليل على ما أُلقي» (الزركشي، ١٤٠٨، ج٣: ١١١). فبناءً على هذه الأهمية، نفهم أنّ القرائن السياقية تتكلم في النصّ عن الجزء الخفي ويوفّر للمتلقى الوصول إلى المقصود، وهذه القضية شرط أساس في التقدير القرآني إذ علاقة وثيقة بين السياق وما قدر في الآية القرآنية، فلا يجوز اختيار ما يخالف نسيج الآية وسياقها الكلي، يقول «عبد السلام» (المتوفى ٦٦٠هـ): «لا يقدر في القرآن من المحذوفات إلا أحسنها وأشدّها موافقة وملائمة للسياق» (عبد السلام، ١٣١٣: ٢٢٠)، فالسياق العامل الأول والأهم في تقدير المحذوف، لذلك نجد بعض اللغويين ومعربي القرآن قد اجتهدوا في الكشف عن المقدر مستأنسين بالعوامل السياقية المختلفة في الآيات الشريفة. أما ما يلاحظ عند معظمهم فهو الاعتماد على الطابع اللغوي والنحوي في حكمهم واستنتاجهم لذلك «قدروا كثيراً من الألفاظ في بنية القرآن ما أدى إلى فهم سطحي أو تغيير في المعنى القرآني والرؤية القرآنية عن الوجود وأثاره... وكان النصّ القرآني صنع حاجزاً بينه وبين المتلقي» (صحن، ٢٠١٢: ٩)، فمن هذا المنطلق نرى بعض العلماء يرفضون ظاهرتي الحذف والتقدير بالجملة، ويعتبرونهما وهماً وخطأ منهجياً في الفكر اللغوي وهذا لأسباب منها:

أ) تنوع أنماط التعبير عن المعاني، واختلاف بعضها عن بعض في المعاني الجزئية، فاللغة لها أدوات تعبيرية لا حصر لها، وطرائق بنيوية متنوّعة وقدرات تحويلية لا حدود لها، فهي قادرة على التعبير عن كلّ معنى، بل تستطيع التعبير عن المعنى الواحد بطرائق مختلفة مع فوارق معنوية دقيقة يختصّ بها كلّ بناء. ففكرة الحذف تقوم على تقييد اللغة بأشكال ثابتة

تقتضي وجود أركان معيَّنة إن فقد أحدها حكم عليها النقص وسمِّي المنقوص محذوفاً وهو أمر يتناقض مع طبيعة اللغة.

(ب) قدرة كلِّ من العلامات أو الحروف أو الألفاظ أو الجمل أو الأساليب أو السياق أو القرائن على الإيحاء بمعنى يفترض العلماء أن الألفاظ المحذوفة تؤدِّيهِ، هذه القدرة يدركها السامع بحسِّ اللغوي وفهمه لأسرار لغته، ومعرفة دلالاتها وإيحاءاتها فيستغني عن ذكر تلك الألفاظ المفترضة، وهذه الخصيصة في اللغة العربية ترتقي بها إلى مرتبة عليا، تؤهلها لمراعاة ذكاء السامع وفطنته، ومعرفته وحواسِّه، وحاله التي فيها، وقدرته على الربط بين الإشارات والإيحاءات (الخالدي، ٢٠٠٧: ١٩٦).

ففي ضوء هاتين الميزتين يستطيع المخاطب فهم النصوص القرآنية فهماً دقيقاً من غير تأويل أو تقدير.

أما ما يجب قوله هنا، فهو أن فهمنا لكثير من العبارات والجمل يعتمد على التقدير والألفاظ غير منطوقة في الكلام، ومن ثم فلا يجوز إنكار هذه الظاهرة جملة. فتقدير المحذوف في القرآن لا يعني أن هذا المحذوف المقدر جزء من القرآن لأن القرآن ثابت بنصه، وإنما هي محاولة لفهم القرآن واستكناه أسرارهِ ومعرفة الدلالات المترتبة على الحذف فيه. هذا ما أشار إليه "شهاب الدين الخفاجي" (٩٧٧-١٠٦٩هـ) في حاشيته على تفسير البيضاوي، قائلاً: «فإن قلت: مقدرات القرآن هل هي منه حتى يطلق عليها كلام الله أم لا؟ قلت: معانيه ممَّا يدلُّ عليه لفظ الكتاب التزاماً للزومها في متعارف اللسان، فهي من المعاني القرآنية؛ وأما ألفاظها ليست منه؛ لأنها معدومة» (الخفاجي، ١٩٩٤: ٢٣). ربط صاحب دلائل الإعجاز بين ثنائية الذكر والحذف حينما عدَّ الصمت أكثر تأثيراً من الإفصاح «إنَّه ما من اسم أو فعل نجده حذف ثمَّ أصيب به موضعه وحذف، في حال ينبغي أن يحذف فيها إلا وأنت تجد حذفه أحسن من ذكره وترى إضماره في النفس أنس من النطق به» (الجرجاني، ١٩٨٨: ١٦٢).

ومما سبق لابدَّ من القول أن لهذه الظاهرة أثراً بالغاً في التوسيع الدلالي كما تفتح المجال للقارئ ليحضر في دائرة النص ساعياً لفهم جمالية الحذف التعبيرية والتعامل مع بنية النص اللغوية.

أهمية مسألة الحذف في الترجمة القرآنية

إن أهمية مقولة الحذف تختلف في النصوص وليست مكانتها في النصوص العلمية أو الأدبية كمكانته في أي القرآن الكريم إذ هو مظهر من مظاهر الإعجاز القرآني ويكتنف على دلالات بلاغية تؤثر في المعنى المقصود. وعلى هذا الأساس انكبّ المفسرون والمربون وعلماء البلاغة على دراستها ليستخرجوا دقائقها ولطائفها البلاغية. لنقل معنى القرآن إلى لغة أخرى، يجب على الناقل أن يوصل للقارئ الفقرة الفكرية المتروكة في النصّ القرآني، واضعاً ما يترجمه بين قوسين. وإذا لم يتم بذلك فإن الجملة المعنية في الترجمة تفقد حيويتها، وفي كثير من الأحيان تفقد مفهومها أيضاً.

تبين دراسة هذه الظاهرة في ميزان الترجمة أن كثيراً من العقبات والخلافات الترجمية تتجذر في إعادة الأجزاء المقطوعة عن النصّ. ولا بدّ من فهم هذه الظاهرة اللغوية في ضوء القرآن نفسه على أساس الوحدة الموضوعية القرآنية، فهي المقياس في تقدير المحذوف، أو رفضه نظراً إلى كمال الدلالة من غير الحذف. فلا يكفي في التقدير مجرد الجواز النحوي والاحتمال الإعرابي، بل لا بدّ من رعاية الفصاحة القصوى والبلاغة العليا. وهذا يدلّ على أن من يريد أن يتصدّى لنقل معاني القرآن الكريم يجب أن يدرك هذه الظاهرة إدراكاً عميقاً. وفي هذا يقول السيوطي (المتوفى ٩١١هـ): «أنزل القرآن على ثلاثين نحواً، كلّ نحو منه غير صاحبه، فمن عرف وجوهها ثمّ تكلم في الدين أصاب ووفق، ومن لم يعرفها وتكلم في الدين كان الخطأ إليه أقرب، ومنها السبب والإضمار» (السيوطي، دون تا، ج: ٣، ١٠٧).

ونظراً للمنهج العام في الترجمات المعاصرة في اهتمامهم بالمعنى وعدم تقييدهم بالألفاظ نجد أن المترجمين لم يتوقفوا عند أسس النظام التركيبي للغة المصدر، بل حاولوا الخروج عن هذا النظام في إطار النص الهدف لذلك نلاحظ أن النص الهدف قد خضع لبعض التحوّلات والتغييرات أثناء مسار الترجمة. أما بالنسبة إلى النصوص المترجمة القديمة فيختلف الأمر تماماً إذ كان النقلة ملزمين بسمات النص اللغوية في جميع مستوياتها التركيبية. ووقفوا بكثير من الانجذاب الروحي والعقلي لأنهم أدركوا ما تختزنه من عجيب التأليف، وبديع التصوير، وعمق التحليل في المستويات كلّها. فبناءً على هذا يمكن أن نلخص إشكالية المنهج التقليدي للترجمات القديمة في مستويين:

(أ) على المستوى الدلالي: ينحرف المعنى ويكتنف الترجمة الغموض والالتباس.

ب) وعلى المستوى التركيبي: يضطرب النص المترجم لكونه يبتني بنية اللغة الأصل لا بنية اللغة الهدف.

ولا نبالغ إن قلنا إن أكثر الترجمات القديمة وقفت عند ظواهر الآيات دون أن يجتازها إلى كوامن القرآن وأسراره وأساليبه التي تساعد كثيراً في فهم الآيات وإزالة الحواجز في إدراكها وبالتالي في نقلها إلى الآخرين نقلاً أميناً ولعل السبب في ذلك يعود إلى الجانب العقائدي عند المترجمين وقداسة الوحي السماوي.

ففي ترجمة قوله تعالى على سبيل المثال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ (فصلت/٤١)، لم يعبر أصحاب الترجمات عن الخبر المقطوع من النص ليتحقق تواصلية الترجمة:

الترجمة الرسمية: «حقاً كه أن كسها كه كافر شدند بياد كرد چون آمد بديشان، كه اين كتابي است عزيز».

أبو الفتوح الرازي: «آنان كه كافر شدند به قرآن چون آمد به ايشان، وآن كتابي است عزيز».

القرن العاشر: «بدرستی كه آنانی كه نگرويدند به اين قرآن چون آمد ايشان را وبدرستی كه اين هر آينه نامه‌ای است شكوه‌مند».

أقسام الحذف في الترجمة

يمكن تقسيم أسلوب نقل العناصر المغيبة في النص المصدر في ظل الترجمة إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول: يشتمل على الآيات التي يرتبط فهمها بالمحذوف ارتباطاً وثيقاً حيث لا يمكن الوصول إلى مغزاها إلا بفهم التقدير. فلا بد للمترجم أن ينقله بدقة وأمانة متناهية ليكون النقل ملائماً مع اللغة المترجم إليها في تراكيبها ومستوياتها البلاغية. ففي قوله تعالى

١. الجدير بالذكر أن في خبر «إن» وجوه أظهرها أنه محذوف تقديره «لا يخفون علينا» ويؤيد هذا الوجه كون إن الثانية بدلاً من «إن» الأولى فيسري عليها ما يسري على الأولى والقاعدة ان المحكوم به على البديل محكوم به على المبدل منه وذكر العربون أوجها أخرى نورد خلاصتها فيما يلي: أ. إنه محذوف لفهم المعنى وتقديره معذبون أو مهلكون وهو وجه سديد أيضاً؛ ب) إنه محذوف قدره الجلال بقوله: «نجازيهم»؛ ج) إنه موجود مذكور وهو قوله فيما بعد «أولئك ينادون»؛ د) إنه موجود مذكور وهو قوله: «لا يأتيه الباطل» والعائد محذوف أي لا يأتيه الباطل منهم نحو (درويش، ١٤١٥، ج: ٨: ٥٧٠).

مثلاً: ﴿وَأَتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا﴾ (الإسراء/٥٩). «مبصرة» نعت لمنعوت محذوف كما ورد في الكتب التفسيرية: «آية مبصرة» (الطبرسي، ١٣٧٢، ج٦: ٦٥٣)، فليس المقصود «أن الناقة كانت مبصرة، ولم تكن عمياء، وإنما يريد آية مبصرة» (ابن الأثير، ١٩٣٩، ج٢: ١٠٢)، فلو تركنا البنية التحتية للآية واكتفينا بما يدلّ عليه ظاهر الآية لأخطأنا في فهم المقصود كما قد أساء الفهم بعض أصحاب الترجمات الحرفية؛ كترجمة "شعراني": «وداديم ثمود را ناقه بينا كنده پس ستم كردند به آن» وفي ترجمة "أرفع": «به ثمود شتری در برابر دید همه دادیم وبه او ظلم کردند». كما يلاحظ أنهما اكتفيا بالظاهر، ولم يبرزا المحذوف، ولذلك حدث نوع من الاضطراب في أداء المعنى. أمّا نقل المنعوت الخفي فيضيف المقصود جلاء، كما ذكره أصحاب الترجمات الحديثة لإيضاح النصّ واتساقه، كترجمة "قولادوند": «وبه ثمود ماده شتر دادیم که [پدیده‌ای] روشن گر بود».

القسم الثاني: يضمّ الآيات التي لا يؤدّي إهمال الحذوف أو ذكرها إلى اختلاف جذري في النقل، وذلك بأسباب متعددة كتقارب اللغتين في بعض الخصائص اللغوية، والتركيبية. كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ (القارعة/١٠-١١). حُذِفَ المبتدأ لأسباب بلاغية وفي إسقاطه كسبت الآية حركة جمالية مثيرة، فلا يحدث عدم نقله في الترجمة ثغرة دلالية عظيمة كأن نظام اللغة الفارسية معتاد بهذه الصورة الحذفية وبينه وبين اللغة العربية تطابق وتكافؤ في المستوى النحوي.

والقسم الأخير يشمل الحذوف التي يجدر إهمالها في اللغة المنقول إليها إذ هي من خصائص اللغة المصدر ويمكن اعتبارها من التصوّرات النحوية حيث يعتبر نقلها نوع من التكلّف، لذلك نرى أن الزركشي يرى أنه «قد توجب صناعة النحو التقدير وإن كان المعنى غير متوقّف عليه وقد يقدرّ النحوي ليعطي القواعد حقّها وإن كان المعنى مفهوماً» (الزركشي، ١٤٠٨، ج٣: ١١٥). ويضاف إلى القسم الأخير بعض الحذوف التي تظهر داخل بنية الكلمات كالحذف الصرّي والحذف الصوتي. ففي قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف/٥٢)، قد أحسّ بعض المترجمين أهمية الأقسام المحذوفة متأثرين بالرؤية النحوية التي تفرض ضرورة توافر أشكال ثابتة للجمل القرآنية فأظهروها خلال الترجمة:

خسروي: «بحق سوگند که ما برای آنها (أهل مكة وقريش) کتابی آوردیم (یعنی قرآن) (که محتاج بتعريف وبيان نیست ودر هر چیز کامل است)».

بلاغي: «وقسم است که آوردیم مردم را به قرآنی که آنرا موشکافی کردیم - بر دانش - برای هدایت ورحمت برای گروهی که (سر و سرّی با ایمان دارند و) می گروند».

أو في قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ رَأَهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ (التكوير/٢٣).

خسروي: «بحق قسم که محققاً محمد صلی الله علیه وآله جبرئیل را در افق آشکار (زمان طلوع آفتاب از مشرق) (بصورتیکه خدا او را خلق کرده است) بدید».

بلاغي: «والله، قسم که محمد، خدا را در افق امکان ووجوب دیده است (و قرآن را شنیده است)».

وترجمة قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (العنكبوت/٣).

تفسیر قرآن کمبریج: «بخدای که مبتلا کردیم آن کسان را که پیش از ایشان بودند».

بلاغي: «وقسم است که آزمایش کردیم کسانی را که از پیش از امت اسلام بودند».

خسروي: «وبحقیقت سوگند که امتهای قبل از امت محمد صلی الله علیه وآله وسلم را (بفرايض وشداید ومصائب برحسب اختلافشان) بمعرض ابتلاء وآزمایش آوردیم».

وما يستحقّ قوله هنا أنه لا ضرورة لذكر المقطوع ولا دليل لافتراض مثل هذه التقديرات في الترجمة، وفي هذا المجال يقول أحد الباحثين: لو عدنا إلى طرائق القسم لوجدناه كثيرة فقد يذكر الفعل وقد يُستغنى عنه، فالأساليب العربية لا تعتمد القوالب والأشكال، فثمة موحيات بالمعنى تغني عن ذكر أجزاء القسم فلا حذف ولا تقدير لأن ما لم يذكر فيه الفعل نمط آخر غير النمط الأول (الخالدي، ٢٠٠٧: ٤٩). وقد تجرّ هذه التقديرات إلى زيادة معان في الترجمة من غير حجة ولا دليل حيث لا يرتضيه الذوق اللغوي ولا يلائم مقتضيات الأساليب الفارسية البليغة. فيحدث مغايرة في شكل النص المترجم ومضمونه.

أثر الحذف البلاغي في اختلاف الترجمات القرآنية

لودققنا في ترجمة العناصر المحذوفة في الآيات وجدنا أن اختلاف المترجمين ترجع إلى الأسباب التالية: أ) في تعيين المحذوف وكيفية ذكره؛ ب) في كيفية التقدير من حيث نوعه ومقداره ومكانه؛ ج) دقائق الحذف الدلالية؛ د) تعددية المعنى.

تعيين المحذوف وكيفية ذكره:

نظراً لكون النص القرآني حافلاً بالحذف حتى تكاد لا تخلو منها آية من أي القرآن الكريم، فإن التعرف عليه وأغراضه الدلالية أمر حتمي للمترجم لئلا يأتي بالترجمة التي تسبب الإبهام وعدم فهم المعنى المراد. وفي كثير من مواطن الحذف نجد العلماء غير متفقين على أن هاهنا حذفاً، وإن اتفقوا على الحذف اختلفوا في تقديره. وهذا أدى إلى تأمل طويل، وسبر لأغوار السياق للوقوف على الدلالة.

فقد اختلفت ترجمة معنى الآية التالية لما ورد لها من تعدد التوجيه الإعرابي في كتب التفسير: ﴿قَالَ بَلْ سَأَلْتُمْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ (يوسف/١٨)، ففيه يحتمل أن يكون المحذوف المسند إليه، ويكون معنى الآية على ذلك: «فصبري صبر جميل» أو «فشأني وأمري صبر جميل». والفائدة المعنوية المستفادة من وراء هذا الحذف هي: «تصوير حيرة يعقوب عليه السلام وتسليمه الأمر لله سبحانه وتعالى وحزنه الشديد لهذا الموقف» (أبورضا، ٢٠٠٦: ١١٩). عالج بعض المترجمين الترجمة على هذا التقدير: الميبدي: «أكون كار من شكيايى است نيكو».

فيض الإسلام: «بس وظيفه وكار من (در اينكه بيش آمد) صبر وشكيايى نيكو است».

ويحتمل أن يكون المسند هو المحذوف فيكون معنى الآية «فصبر جميل أولى بي» أو «فصبر جميل أجمل»، وغاية الحذف في هذا المقام الكشف عن حث يوسف عليه السلام نفسه على الصبر والتجلى، ورد هذا المقصود في الترجمات التالية:

أنصاريان: «در اين حال صبرى نيكو [مناسب تر است]».

فولادوند: «اين كه صبرى نيكو [براي من بهتر است]».

ومما تستحق الإشارة إليه هنا أنه مع احتمال الآية لهذه المعاني نجد من البلاغيين من يرجح أحد الوجوه على غيرها مستدلاً بسياق الآية التي وردت مسوقة لمدح يعقوب عليه السلام يقول صاحب الطراز: «حذف الخبر وإن كان وارداً على جهة الكثرة، لكن حذف المبتدأ ههنا أبلغ، لأنه الآية وردت في شأن «يعقوب» فلا بد من أن يكون هناك اختصاص به، فإذا كان تقديره فأمرى صبر جميل كان أخص به وأدخل في احتماله للصبر واختصاصه به» (العلوي، ج: ٢: ١١٨). ومن الطريف أن قسماً آخر من الخلافات الترجمية يعود إلى فرض التقدير أو عدمه

في الآيات حيث قد تسفر عن إصدار أحكام متعددة، ففي قوله تعالى على سبيل المثال: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ (البقرة/١٨٤) يرى علماء السنة أن الشرط محذوف في الآية والمقدر: «إن أفطر فعدة أيام آخر» (ابن الجوزي، دون تا، ج١: ١٤١؛ الألوسي، ١٤١٥، ج١: ٤٥٥)، فاتفقت قاطبة فقهاء السنة على الخيار بين الصوم والإفطار. بينما رفض مفسري الشيعة التقدير نظراً إلى كمال الدلالة من غير الحذف لذلك يخالفهم الطبرسي في الرأي ويقول: «من قدر في الآية فقد خالف الظاهر» (الطبرسي، ١٣٧٢، ج٢: ٤٩٣)، ومرد ذلك: «أولاً أن التقدير كما صرحوا به خلاف الظاهر لا يصار إليه إلا بقرينة ولا قرينة من نفس الكلام عليه. وثانياً: أن الكلام على تقدير تسليم التقدير لا يدل على الرخصة فإن المقام كما ذكره مقام التشريع، وقولنا: فمن كان مريضاً أو على سفر فأفطر غاية ما يدل عليه أن الإفطار لا يقع معصية بل جائزاً بالجواز بالمعنى الأعم من الوجوب والاستحباب والإباحة، وأما كونه جائزاً بمعنى عدم كونه إلزامياً فلا دليل عليه من الكلام البتة بل الدليل على خلافه فإن بناء الكلام في مقام التشريع على عدم بيان ما يجب بيانه لا يليق بالمشروع الحكيم وهو ظاهر» (الطباطبائي، ١٤١٧، ج٢: ١١).

فبناءً على هذا التفريق في جواز الإفطار أو وجوبه في السفر الذي هو ناتج عن مسألة التقدير نلاحظ أن الخلاف أظهر نفسه في الترجمة أيضاً:

خرمدل: «(روزة در) چند روز معین واندکی است، وکسانی که از شما بیمار یا مسافر باشند (اگر افطار کردند وروزه نگرفتند، به اندازه آن روزها) چند روز دیگری را روزه می دارند».

فيض الإسلام: «روزهای شمرده شده را روزه گیرید، پس هر که از شما بیمار یا مسافر باشد بر او است بشمار آن روزها از روزهای دیگر روزه بگیرد».

فنلاحظ أن «خرمدل» - وهو من مترجمي السنة - يعبر عن جواز الأمر بإتيانه بالتقدير المحذوف بين الهلالين بينما يؤكد «فيض الإسلام» على وجوب الإفطار في حالتي المرض والسفر مستفيداً مما يدل على وجوب الأمر بقوله: «بر اوست».

كيفية التقدير من حيث نوعه ومقداره ومكانه:

وقد يعود التباين بين المترجمين إلى كيفية التقدير ونوعه ومثاله قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَكْذِبُواكَ فَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولًا مِنْ قَبْلِكَ﴾ (فاطر/٤) فجملة «فقد كذبت رسول من قبلك» ليست جواب

الشرط، وإنما جواب الشرط محذوف لأنَّ الجواب ينبغي أن يترتب مضمونه على مضمون فعل الشرط فـ «الجواب مسبب عن الشرط» (ابن هشام، ۲۰۰۹، ج ۲: ۳۸۴). وتكذيب الرسل سابق على تكذيب النبي الأكرم ﷺ فجملة «فقد كذبت» علة للجواب المحذوف وهو الصبر على الابتلاء فدلَّت عليه، وبذلك يكون تقدير الكلام «وإن يكذبوك فاصبر فقد كذبت رسل من قبلك» (الزركشي، ۱۴۰۸، ج ۳: ۳۲۲).

طاهري: «اگر تو را تکذیب می کنند، [امر تازه ای نیست] قبل از تو [نیز] پیامبرانی مورد تکذیب قرار گرفتند».

إلهي قمشته اي: «(ای رسول ما غمین مباش) اگر تو را این امت (نادان) تکذیب کنند پیامبران پیش از تو را نیز (امتهاشان) تکذیب کردند».

فولادوند: «و اگر تو را تکذیب کنند، قطعاً پیش از تو [هم] فرستادگانی تکذیب شدند».

خرمشاهی: «و اگر تو را دروغزن شمرند بدان که پیامبران پیش از تو هم با تکذیب روبه رو شدند».

وي في قوله تعالى: ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْتُ لَكُمْ فَأْتُوا حَرَّتْكُمْ أَنِّي سِتُّنُمْ وَقَدَّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة/۲۲۳).

فولادوند: «... و آنها را برای خودتان مقدم دارید، و از خدا پروا کنید و بدانید که او را دیدار خواهید کرد، و مؤمنان را [به این دیدار] مژده ده».

مسعود أنصاري: «[و] ره توشه ای از کارهای نیک [برای خودتان پیش فرستید. و از خداوند پروا بدارید و بدانید که شما به لقای او خواهید رسید. و مؤمنان را نوید ده».

مکارم الشيرازي: «(و سعی نمائید از این فرصت بهره گرفته، با پرورش فرزندان صالح) اثر نیکی برای خود، از پیش بفرستید! و از خدا بپرهیزید و بدانید او را ملاقات خواهید کرد و به مؤمنان، بشارت ده!».

عجز أصحاب الترجّعات عن استيفاء المدلول الكامل لبعض التراكيب والجمل فشرحوها في الذيل والهامش كترجمة أبو القاسم إمامي.

الجوانب الدلالية للحذف:

إن الحذف يترك فجوة في مستوى البنية التركيبية تؤثر في المعنى، و«الدلالة تتجه نحو متعلقات الجملة المذكورة في حال أن يحذف أحد أطرافها، فإن حذف الفعل اتجهت الدلالة إلى الفاعل أو المفعول به فيكون التركيز عليهما وعلى ما يتعلّق بهما في النص» (الجنابي، ٢٠٠٩: ١٢٨)، فالمرجم بصفته محللاً للنص يجب أن يأخذ مثل هذه اللطائف الدلالية بعين الاعتبار، ففي قوله تعالى: «لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالصَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ» (البقرة/١٧٧)، لا يمكن أن يكون «الصابرين» معطوفاً على ما تقدّم، فالواجب في ذلك أن يقدر مقدراً ليستقيم الإعراب، كما قال درويش: «كان سياق الكلام أن يكون منسوقاً على ما تقدّم، ولكنه قطعه عن العطف ونصبه على المدح بفعل محذوف تقديره «أمدح» إشعاراً بفضل الصبر وتنويهاً بذلك الفضل» (درويش، ١٤١٥، ج: ١، ٢٥١)، فحذف الفعل لتركيز الانتباه على المفعول من دون سواه لأنه هو المراد به. فنظراً لهذا التفسير نلاحظ أن المترجمين لم يهتموا بالأثر الدلالي للحذف ولا تفيد ترجماتهم معنى الاختصاص:

المبيدي: «وشكيبايان در بيماكيها ودر تنگيها، ودر وقت جنگ...»

فيض الإسلام: «وهنگام جنگ (جهاد و کارزار با دشمنان دين خدا) صابر وشکيبا باشند»

فولادوند: «و در سختي وزيان، وبه هنگام جنگ شكيبا يانند...»

وبالنتيجة في الترجمات الفارسية نرى أن هذا التركيب الحذفي لفت انتباه بعض المترجمين فدفعهم إلى ذكر ما يصور معنى الاختصاص في الفارسية لقرب التركيب من نظام اللغة المستهدفة:

مجتبوي: «ونيز وفاداران به پيمان خویش چون پيمان بندند، و[ويژه] شكيبايان در بينوايي وتنگدستي».

گرمارودي: «(نيکی از آن) آنان (است) که چون پيمان بندند وفا کنند؛ وبه ويژه شكيبايان در

سختي ورنج».

الحذف وتعددية المعنى:

كما أشرنا فيما تقدّم أن الحذف يفتح الباب على مصراعيه أمام المتلقي ليبحث فيما بين يديه عما غاب عن النص، وعن الصلة القائمة بين أجزاء الكلام. ولعلّ في ما عقده البلاغيون في حديثهم عن الحذف الذي يحتمل أن يكون المحذوف فيه المسند أو المسند إليه، خير دليل على وفرة تأويلات المعنى التي يتيحها الحذف وهذا التعدّد «لا يتوافر للعبارة ذات التركيب اللغوي التام؛ لأن حدود المعنى فيها مهما اتسعت فإنها تكون محدودة وذلك لتقيدها بالألفاظ الدالة عليها، وهنا تكمن نقطة هامة في نظر البلاغيين حينما يفاضلون بين الجملة الحذفية التي فتحت الباب واسعاً أمام تعدد المعنى، وبين الجملة ذات التركيب اللغوي التام المعلومة الحدود، فيحكمون بأفضلية الجملة التي اعتمدت أسلوب الحذف، فقد رأوا مثلاً إن حذف جواب الشرط من بعض النصوص أبلغ من ذكره لأن الحذف يتيح للمتلقي أن يتوسّع في تصور الاحتمالات الممكنة التي يصحّ حمل الكلام عليها بخلاف ذكر الجواب الذي يقصر المتلقي على الوجه المذكور ولذا تراهم يقولون إن الحذف «أبلغ من الذكر لأن النفس تذهب في الحذف كلّ مذهب، ولو ذكر الجواب لكان مقصوراً على الوجه الذي تناوله الذكر» (حسين، ١٤٣٢: ٢٠٧).

«إنّ اللغة ليست حساباً منطقيّاً دقيقاً لكلّ كلمة معنى محدّد ولكلّ جملة معنى محدّد ولكلّ الجمل وظيفة واحدة وإنما تتعدّد معاني الكلمات بتعدّد استخداماتها لها في اللغة العادية وتتعدّد معاني الجملة الواحدة حسب السياق الذي تذكر فيه، وأنّ الكلمة مطاطة تتسع وتضيق استخداماتها حسب الظروف والحاجات» (زيدان، ١٩٨٥: ١٠٦)، فتعددية المعنى الناتجة عن الحذف تنشأ تتمثل في شكلين:

(أ) بين وجود الحذف ونغيابه تعدّد ممكن للمعنى

ولم يكن الحذف مسلماً به دائماً في تفاسير القرآن، إذ تجد بعض المفسّرين يسقطون بعض الحروف من القول لتجنّب القول لاحذف، وهذا ما تجسّم في أقوال حذف منها جواب الشرط.

(ب) في تعيين المحذوف تعدّد ممكن للمعنى

الأغلب عند مستعملي اللغة التسليم بالحذف عند وجوده، غير أنّهم قد يختلفون في حال كون المحذوف مبتدأ وخبراً. وينتفي هذا الاختلاف النظري إذا قطع السياق أو المقام بأحد العنصرين بالذات محذوفاً. أمّا إذا لم يقطع السياق والمقام بموضع المحذوف فيجوز اختلاف تعيينه استناداً إلى بعض القرائن النحوية. فإن كان الدليل على المحذوف - أي إن كان الباقي

من الجملة - نكرة غلب اعتبار المحذوف خبراً وجاز اعتباره مبتدأ بتقدير خبر محذوف (يوسف، ٢٠٠٢: ٧٤).

تتجلى تعددية المعنى بإسقاط حرف الجر في قوله عز وجل: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ (النساء/١٢٧)، فـ«رغب» يصل إلى المفعول بحرفين يؤدیان معنيين متعاكسين ولا بد من ذكر أحدهما إذا أريد معنى بعينه، فإذا قيل «رغب في» دلّ على معنى الإيجابية، وإذا قيل «رغب عن» دلّ على الرغبة السلبية، وحذف الحرف هنا يوقع في اللبس على حد ما يزعمون. فبحذف المتعلق الفعل يتعدد معنى الآية ويشمل كلا الاحتمالين ولذلك يقول الزمخشري في توجيه هذه المسألة: «يحتمل في أن تنكحوهن لجمالهن وعن أن تنكحوهن لدمامتهن» (الزمخشري، ١٤٠٧، ج١: ٥٧٠). فهنا قد ظهر أثر الحذف واضحاً، فإنه لما حذف حرف التعددية للفعل جعل لفظ الآية يتسع ويحتمل كلا المعنيين، فأعطى سعة للمترجمين في التوصل إلى كلا المعنيين: المبيدي: «ورغبت نمي كنيد كه بزني كنيد ايشان را».

فيض الإسلام: «و(براي جمال ونيكويي ومال ودارايشان) خواهانيد كه آنها را بنكاح وزني (خويش) درآوريد».

فولادوند: «وتمايل به ازدواج با آنان داريد».

والملاحظ أن صاحب نحو القرآن يذهب في تأويل هذه الآية مذهباً آخر قائلاً: «الأصل في الرغبة هو الذي يحدد علاقته بالمفعول أي أن تكون رغبة في الشيء. أما الرغبة عن الشيء فهي الفرع الذي لا يعرف إلا بذكر الحرف «عن» وهذا المعنى هو الذي يقتضي إثبات الحرف أما حذف الحرف فيصرف معنى الفعل إلى أصله وهو الرغبة في الشيء. وإذن فلا مجال للالتباس على الإطلاق» (الجواري، ١٩٧٤: ٥٣-٥٤).

قد يستند تعدد العنصر المحذوف إلى تفسير للسياق بالبحث في معانيه الاقتضائية أو الاستدلالية. فمن ذلك الاختلاف في مزين الشهوات في قول الله تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ﴾ (آل عمران/١٤)، فقد اختلفوا في قوله: «زين للناس» من الذي زين ذلك؟ فذهب البعض إلى أنه الله وآخرون إلى أنه الشيطان. واعتمد الفريق الأول على إسناد الله تعالى لنفسه خلق كل شيء ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾ (البقرة/٢٩)، مما يقتضي خلقه للزينة. أما الفريق الثاني فاستند إلى المعنى المقصود بقول الله تعالى آخر الآية

المذكورة: «ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا»، فهو معنى الذمّ للدنيا واستدلوا بأن الذام للشيء يتمتع أن يكون مزيناً له، وإذا لم يكن المزين هو الله فإن سياق القرآن الذي يسند إلى الشيطان تزيين الشهوات للناس يسمح بتعيين الشيطان محذوفاً (فخر الرازي، ۱۴۲۰، ج ۷: ۱۶۰).

كذلك نجد التعمية والمعنى المغلق عند ترك الجمل المعلقة في العطف بالواو في كثير من الآيات، والظاهر أنه يحدث في القرآن لما في الآيات من طول الكلام، أو تكرر للعناصر التي يمكن الاستغناء عنها لورود مثلها أو مقابلها، ففي الآية الكريمة على سبيل المثال: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُؤْفِقَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (الأحقاف/ ۱۹)، «اللام» في «لِيُؤْفِقَهُمْ» للغاية وما بعدها متعلق بالمعلل غير المذكورة، يقول العلامة الطباطبائي في تفسير الآية: «والجملة معطوفة على غاية أو غايات أخرى محذوفة لم يتعلق بذكرها غرض، وإنما جعلت غاية لقوله: ﴿لِكُلِّ دَرَجَاتٍ﴾ لأنه في معنى وجعلناهم درجات، والمعنى: جعلناهم درجات لكذا وكذا وليؤفقيهم أعمالهم وهم لا يظلمون» (الطباطبائي، ج ۱۸: ۲۰۴). وفي قوله سبحانه: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الأنفال/ ۱۷)، والجملة لبيان الغاية وهي معطوفة على مقدر محذوف، والتقدير: إنما فعل الله ما فعل من قتلهم ورميهم لمصالح عظيمة عنده، وليبلي المؤمنين ويمتحنهم بلاء وامتحاناً حسناً أو لينعم عليهم بنعمة حسنة، وهو إفناء خصمهم وإعلاء كلمة التوحيد بهم وإغناؤهم بما غنموا من الغنائم (الطباطبائي، ۱۴۱۷، ج ۹: ۳۹).

والجدير بالانتباه أن بعض الأجوبة المقدرّة التي تذكر في إكمال النظام الشرطي مصدر الاختلاف بين المترجمين، نجد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (الفتح/ ۲۵)، نلاحظ ترجمة الآية على الشكل التالي:

المبيدي: «واگر نه آن بودید که مردانی بودند در مکه گرویدگان، و زنانی بودند گرویدگان، شما ندانستید حال ایشان و آگاهی نداشتید از ایشان که ایشان را بکشید بنادانی، و شما رسیدی از ایشان گزندی، [آن را کرد الله] تا پیش در آرد در رحمت خویش (و در اسلام) او را که خواهد، اگر آن مؤمنان از کافران جدا گشتندید و از مکه بیرون آمدید ما عذاب کردید ناگرویدگان ایشان را عذابی دردناکی».

فيض الإسلام: «واگر مردان وزنان ایمان آورنده نبودند که شما نمی دانستید آنان را پایمال خواهید کرد پس از ایشان بدون علم و دانش تعبیر و سرزنش بشما میرسید، هر آینه خدا دست‌های شما را از ایشان باز نمی داشت».

فولادوند: «واگر [در مکه] مردان وزنان با ایمانی نبودند که [ممکن بود] بی آنکه آنان را بشناسید، ندانسته پایمالشان کنید و تاوانشان بر شما بماند [فرمان حمله به مکه می دادیم]».

فتظراً للمنهج العام في الترجمات القديمة في اهتمام المترجمين باللغة المنقول منها لا نجد عند «المبيدي» ما يعبر عن المحذوف، فاستمت ترجمته بالحرفية وهي أمينة للنص المصدر في الشكل والمعنى؛ فلم يحاول المترجم لترشيد وإعادة صياغة الآية بينما ربط «فيض الإسلام» و«فولادوند» أجزاء النص بذكر ما سقط عن الآية في جواب «لولا» الشرطية والملاحظ أن المذكور في جواب «لولا» يختلف عندهما وهذا يدل على أن البنية الحذفية تفسح فضاءً خصباً للاجتهاد.

ففي قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَاءَ رُؤُكُ وَالْمَلِكُ صَفًّا صَفًّا﴾ (الفجر/٢٢) نلاحظ أن

المترجمين تناولوه بالشكل التالي:

المبيدي: «وآيد خدای تو و فریشتگان قطار قطار».

الإسفراینی: «وآید فرمان قضا[ی] خدای تو و فریشتگان صف صف ایستاده باشند»

السورآبادی: «و فرا شمار خلق آید خدای تو و فریشتگان بیایند و بیستند رس رس».

یتبین لنا من هذه النماذج أن الترجمة كانت متأثرة بشكل كبير بالرؤية الأيدولوجية عند المترجم، ففي ترجمة «المبيدي» نلاحظ أنه حدد معنى الآية في ضوء الرؤية الحسية فنسب المجيء إليه تعالى فنقل الآية نقلاً حرفياً متأثراً بمذهبه، قائلاً: «مذهب اهل سنت واصحاب حديث در چنین اخبار و آیات صفات، بظاهر برفتن است و باطن تسلیم کردن، و از تفکر در معانی آن دور بودن، و تأویل نه نهادن، که تأویل راه بی راهان است» (المبيدي، ١٣٧١، ج: ١، ٥٧٧)، (إن مذهب السنة وأصحاب الحديث في مثل هذه الأخبار والأوصاف هو التمسك بظواهر الآيات وترك بطونها وعدم التعمق والتأويل في معانيها إذ إن التأويل ليس سوى منهج الضالين).

النتائج

تناولنا فيما تقدّم أهمية الحذف والقطع في الكلام الإلهي من خلال النظر في وعاء الترجمة وبيّننا القيمة الدلالية لهذه الميزة وأثرها في الترجمات الفارسية بشكل كليّ. فعرّفنا أن مفهوم الحذف في الترجمة ذو جوانب متعددة يستلزم المترجم التعمّق فيها. إن المترجم يجب أن يضع نصب عينيه أن السياق القرآني هو المصدر الأساس في تحديد المحذوف فينبغي دراسة هذه السمة الأسلوبية والبلاغية في ضوء الآيات القرآنية نفسها لكي يدرك المعنى القرآني وتتكامل أبعاده. فدراسة الجملة الحذفية منعزلة عن نصها فساد في المقصود.

تبين لنا في ضوء النماذج المدروسة أن الاختلاف والتغاير متجذر في مناهج المترجمين وأسلوبهم في الترجمة. يميل المترجمون القدامى إلى الترجمة الحرفية والالتزام بالصياغة القرآنية نفسها ولكن رغم ذلك نرى أن بعضهم كالمبيدي اهتمام كبير بالمعاني المقدرة في الآيات الكريمة، ولعلنا لا نعدو الصواب لو قلنا إنه من الأوائل من أورد الحذف القرآنية خلال نقل آيات الذكر الحكيم. وكان أصحاب الترجمات التفسيرية ك (فيض الإسلام) شديدي الاهتمام بسدّ الفرج اللفظية الهائلة بين التراكيب والجمل للإضافة في اللغة المنقول إليها، وأما في بعض الترجمات المعاصرة كترجمة "فولادوند" و"خرمشاهي" و"كرمارودي" لاحظنا أنهم يأخذون الحذف بعين الاعتبار محافظاً على سلاسة اللغة الفارسية وفصاحتها. والظاهر أنهم اختاروا التوسط بين الأمرين؛ أي الترك والاستيفاء، فالمواضع التي يتوقف فيها فهم الآية على معرفة المحذوف ذكروه باختصار والمواضع التي لا يتوقف فيها فهم الآية على المحذوف استغنوا عن ذكره.

يبدو لنا من خلال عملية تحليل نماذج مختارة من الترجمات القرآنية وتقييمها، أن اللغة الهدف مهما استخدمت طاقاتها التعبيرية فهي عاجزة عن استيعاب دواعي الحذف وأهدافه الدلالية وهذا يفصح عن إعجاز لا يحاكي في أية لغة من لغات العالم. فالأمر المانع في كثير من هذه النماذج هو بناء الآيات على الإيجاز حيث لا يسع من يترجمها إلا أن يترجمها في كلمات كثيرة تحفظ له بعض المعنى وتذهب بالرونق والخلاصة والإعجاز المتصفة به ذاتاً.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. الألوسي، محمود (١٤١٥هـ). *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*. بيروت: دار الكتب العلمية.
٢. ابن الأثير، ضياء الدين بن محمد (١٩٣٩م). *المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر*. تحقيق محمد محي الدين بن عبد الحميد، القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
٣. ابن هشام، جمال الدين عبد الله بن يوسف (٢٠٠٩م). *مغني اللبيب عن كتب الأعراب*. تصحيح وتنقيح يوسف البقاعي، بيروت: دار الفكر.
٤. البنا، جمال (٢٠٠٣م). *تفسير القرآن بين القدامى والمحدثين*. القاهرة: دار الفكر الإسلامي.
٥. تفسير قرآن مجيد نسخه دانشگاه كمبريج، تصحيح جلال متيني، جلد ٢، تهران: انتشارات بنياد فرهنگ.
٦. التهانوي، محمد علي (١٩٦٣م). *كشاف اصطلاحات الفنون*. تحقيق لطفي عبد البديع، القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.
٧. الجنابي، زهرا ميري حمادي (٢٠٠٩م). «الأثر الدلالي لحذف الفعل في القرآن الكريم». رسالة الماجستير، جامعة الكوفة.
٨. الجواري، أحمد عبدالستار (١٩٧٤م). *نحو القرآن*. بغداد: مطبعة المجمع العلمي العراقي.
٩. حسين، عبدالقاهر (١٩٩٨م). *أثر النحاة في البحث البلاغي*. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر.
١٠. الخالدي، كريم حسين ناصح (٢٠٠٧م). *البديل المعنوي من ظاهرة الحذف*. عمان: دار صفاء.
١١. خرمشاهي، بهاء الدين (١٣٩٢ش). *ترجمه قرآن كريم*. طهران: انتشارات دوستان.
١٢. درويش، محي الدين (١٤١٥هـ). *إعراب القرآن وبيانه*. ط ٤، دمشق: دار الإرشاد.
١٣. رضايي إصفهاني، محمد علي (١٣٨٦ش). *منطق ترجمه قرآن*. قم: انتشارات مركز جهاني علوم اسلامي.
١٤. الرماني، علي بن عيسى؛ الخطابي؛ الجرجاني، عبدالقاهر (١٩٦٨م). *ثلاث رسائل في إعجاز القرآن*. تحقيق محمد خلف الله؛ ومحمد زغلول سلام، القاهرة: دار المعارف.

١٥. الزركشي، محمد بن عبدالله (١٤٠٨هـ). *البرهان في علوم القرآن*. تحقيق محمد ابوالفضل إبراهيم، بيروت: دار الجميل.
١٦. الزمخشري، جارالله (١٩٨٧م). *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*. ط ٢، بيروت: دار الكتب العربي.
١٧. زيدان، محمود فهمي (١٩٨٥م). *في فلسفة اللغة*. بيروت: دار النهضة العربية.
١٨. السيوطي، جلال الدين (دون تا). *الإتقان في علوم القرآن*. تحقيق عبدالعال سالم مكرم، بيروت: مؤسسة الرسالة.
١٩. شفيعي كدكني، محمدرضا (١٣٨١ش). *موسيقى شعر*. ط ٧، طهران: آگه.
٢٠. الطباطبائي، محمدحسين (١٤١٧هـ). *الميزان في تفسير القرآن*. قم: انتشارات إسلامي جامعه مدرسين حوزة علميه قم.
٢١. عبدالسلام، عزالدين (١٣١٣هـ). *الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز*. القاهرة: المطبعة العامرة.
٢٢. عظيم پور، عظيم (١٣٨٠ش). *اختلاف ترجمه هاي قرآن كريم (علل وعوامل)*. طهران: ماهرنگ.
٢٣. العلوي، يحيي بن حمزة (١٩١٤م). *الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز*. القاهرة: مطبعة المقتطف.
٢٤. فولادوند، محمدمهدي (١٣٧٧ش). *ترجمه قرآن كريم*. قم: دفتر مطالعات تاريخ ومعارف اسلامي.
٢٥. فيض الاسلام، علي نقي (١٣٧٨ش). *ترجمة وتفسير قرآن عظيم*. طهران: فقيه.
٢٦. لاهوري، إقبال (١٣٦٦ش). *كليات اشعار فارسي اقبال لاهوري*. مقدمة محمود علمي (م). درويش)، ط ٣، طهران: جاويدان.
٢٧. الميدي، أحمد بن محمد (١٣٧٢ش). *كشف الأسرار وعدة الأبرار*. ط ٥، طهران: أميركبير.
٢٨. يوسف، ألفة (٢٠٠٢م). *تعدد المعنى في القرآن*. منوبة: دار السحر للنشر.
٢٩. ترجماني زاده، أحمد (١٣٤٠ش). «الحذف». *مجلة دانشكده ادبيات وعلوم انساني دانشگاه تبريز*، العدد ٥٧، صص ١٤٦-١٦٣.
٣٠. حجت، هادي (١٣٧٨ش). «تأريخ نقد الترجمات القرآنية الفارسية». *ترجمان وحي*، السنة ٣، العدد ٢، صص ٤٩-٦٠.

٣١. خرمشاهي، بهاء الدين (١٤١٣هـ). «سهم إيرانيين در تفسير». مجموعه مقالات كنگره شيخ مفيد رحمته، قم، صص ٣-٣٠.
٣٢. صحن، أحمد رسن (٢٠١٢م). «الحذف رؤية قرآنية». مجلة آداب البصرة، العدد ٦١، صص ١-٢٥.
٣٣. القلطات، هشام (٢٠٠٨م). «البياض مكونا من مكونات الخطاب الواصف». مقالات في تحليل الخطاب، تقديم حمادي صمود، صص ١٤٥-١٩٥.
٣٤. محمدرضايي، عليرضا (١٤٣١هـ). «أثر الترجمة على دلالة الكلمات وتحديات الترجمة الفارسية». مجلة اللغة العربية وآدبها، السنة ٦، العدد ١٠، صص ١٢٧-١٤١.